

الشهيد جعفر الطيار (ع)

وشهداء موقعة موته

- المولد والنشأة
- في موكب الرسالة
- الهجرة إلى الحبشة
- إلى الحبشة.. ثانية
- النجاشي يُسلم..
- الشهادة
- نبذة من فضائله
- معركة مؤتة
- شهداء مؤتة
- زيد بن حارثة
- عبد الله بن رواحة
- محافظة (الكرك) - في الأردن - في حديث المؤرخين
- المزار (المدينة والأضرحة)
- مرقد جعفر الطيار
- مشروع تطوير المقامات
- زيارة الشهيد جعفر الطيار
- بعض ما قيل عن مؤتة شعراً

المولد والنشأة:

من مشرق المجد والرسالة بزغ في ربوع مكة نور ساطع في بيت سيد البطحاء أبي طالب (رضي الله عنه) حيث ولد جعفر (رضي الله عنه) بعد ولدين وهما طالب وعقيل، وكان كل منهم يكبر أخاه بعشر سنين، وبعده بعشر سنين ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبناءً على هذا تكون ولادة جعفر (رضي الله عنه) بثلاثة وثلاثين سنة قبل الهجرة - على التقريب -.

ولاشك أن شخصية جعفر (رضي الله عنه) ازدحمت فيها كل الفضائل والمكرمات، ولم لا وهو قد نشأ في مدرسة أبي طالب (رضي الله عنه)، سيد البطحاء والمحامي الأول عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ورسالته، لا ينكر ذلك إلا جاحد وجاهل فقد امتلأت كتب الأدب والتاريخ بأشعاره الصريحة التي توضح عمق إيمانه بالنبي (صلى الله عليه وآله) ورسالته فقد جاء في السيرة الحلبية (ج ١: ص ١٦٥):

إن أبا طالب (رضي الله عنه) خطب في زواج ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) من خديجة، وقال: (وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل).

وقال راداً على قريش كما نقل البغدادي في خزانة الأدب (ج ١ ص ٢٦١).

ألم تعلموا أنا وجدنا محمد *** نبياً كموسى خط في أول الكتب

وقال (رضي الله عنه) مخاطباً النجاشي ملك الحبشة:

تعلم خيار الناس أن محمد *** وزير لموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به *** فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم بصدق *** حديث لا حديث المترجم

فلا تجعلوا الله نداً وأسلمو *** فإن طريق الحق ليس بمظلم

وقال مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله):

أذهب بُني فما عليك غضاضة *** أذهب وقر بذاك منك عيونا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسد في التراب دفيننا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي *** ولقد صدقت وكننت قبل أمينا

وذكرت ديناً لا محالة أنه *** من خير أديان البرية ديننا

وبعد هذه الصراحة هل يخالغ الريب أحداً في إيمان أبي طالب وهل يجوز على من يقول (إنا وجدنا محمداً نبياً كموسى) إلا الاعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين، وهل يكون إقرار بالنبوة أبلغ من قوله: (فأسمى ابن عبد الله فينا مصداقاً) وهل فرق بين أن يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وبين أن يقول:

وإن كان أحمد قد جاءهم *** بصدق ولم يتهم بالكذب

وهل هناك جملة يعبر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم:

وذكرت ديناً لا محالة أنه *** من خير أديان البرية ديناً

وهل يجد المنصف بعد هذا كله ملتحداً عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتقاً للدين الحنيف ويكافح طواغيت قريش.

وصدق الشاعر حيث يقول في حقه:

ولولا أبو طالب وابنه *** لما مُتِل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحام *** وهذا بيثرب حبس الحماما

تكفل عبد مناف بأمر *** وآوى فكان عليّ تاما

قله ذا فاتحاً الهدى *** والله ذا للمعالي ختاماً

(شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٨٤)

وأما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم التي كانت للنبي (صلى الله عليه وآله) بمنزلة الأم وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له وأدركت النبي (صلى الله عليه وآله) فأسلمت وحسن إسلامها.

عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: (كانت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب حادية عشرة) يعني في السابقة إلى الإسلام. وكانت بدريةً وهاجرت وبايعت معه. وعن الزبير بن العوام قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية: (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك..)، وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوصت إليه حين حضرته الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل في لحدها واضطجع فيه وأحسن الثناء عليها.

عن ابن عباس لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قميصه واضطجع في قبرها فقال له أصحابه: يا رسول الله ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه المرأة، فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرُّ بي منها إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر (أسد الغابة: ج ٧ ص ٢١٧).

في هذا البيت الذي كان في نرى المجد والشرف والذي لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها ولد جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) وفتح عينيه على ذنك الأبوين العظيمين والذين أورثا كل قيم الخير والإنسانية لوليدهما المبارك، وبعد أن كبر في كنف أبيه الذي كان بيته مأوى للقاصي والداني، مر أبو طالب بأزمة لكثرة عياله من جهة ولأن موقعه الكبير والتميز في مكة كان يفرض عليه التزامات مالية غير قليلة، وكان جعفر يرى أباه وهو يواجه هذه الضائقة المادية بكل صبر ويتلقاها بنفس كبيرة مطمئنة. يقول المؤرخون أن أزمة شديدة مرت على قريش وكانت حصة أبي طالب منها كبيرة لما ذكرناه من كثرة عياله من جهة وكثرة التزاماته الاجتماعية باعتباره مقصداً ومونلاً لذوي الحاجات من جهة أخرى، وجاء النبي (صلى الله عليه وآله) لعمه العباس - وكان من أيسر بني هاشم - قائلاً له: يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى في هذه الأزمة فانطلق بنا فنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما عنه، فقال: الناس نعم.

فانطلقنا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً فضمه إليه وأخذ العباس جعفرَ فضمه إليه فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فتبعه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه (سيرة بن هشام: ج ١ ص ٢٦٣).

في موكب الرسالة:

أسلم جعفر (عليه السلام) بعد أخيه علي (عليه السلام) بقليل وكان إسلامه قبل أن يتخذ النبي (صلى الله عليه وآله) دار الأرقم مركزاً له. ففي الرواية عن علي بن إبراهيم: فأسلمت خديجة (رضي الله عنها)، فكان لا يصلي إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)

وخديجة (رضي الله عنها) خلفه فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب إلى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بجانبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح بن عمك فوقف جعفر من الجانب الآخر وصلى عن يساره، وحينها قال أبو طالب لابنيه علي (عليه السلام) وجعفر (عليه السلام):

إن علياً وجعفرَ ثقتي *** عند ملم الخطوب والكرب
والله لا أخذل النبي ول *** يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكم *** أخي لأمي من بينهم وأبي

قال ابن إسحاق في تسمية السابقين إلى الإسلام: وجعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وامرأته أسماء بنت عميس، وقال بن سعد: أسلم جعفر بن أبي طالب قبل أن يدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) دار الأرقم ويدعو فيها (طبقات بن سعد: ج ٤ ص ٢٣)، وقال اليعقوبي في تاريخه: وأمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين - إلى أن قال - وأسلم يومئذ (أي يوم إنذار العشيرة) جعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين فأخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

لقد كان جعفر - إذن - من السابقين للإسلام وكان ملازماً لرسول الله ملازمة الظل يرقب أفعاله وتروكه ويسمع أقواله وعظاته ويبصر أعماله وحكمه ويقتص أثره منذ أن كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) وخديجة الكبرى (رضي الله عنها).

الهجرة إلى الحبشة:

لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما حل بأصحابه من جهد وعذاب قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنه يحسن الجوار، فخرج في المرة الأولى أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، خرجوا متسللين سراً، منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وساروا حتى وصلوا إلى الشعبية وهي مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة، وكان ذلك في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة وكان من محاسن الصدق أن وجد هؤلاء المهاجرون سفينتين للتجار فحملوهم فيها إلى الحبشة.

وبلغ الخبر قريشاً فخرجوا يجذون في طلبهم ليحولوا بينهم وبين الهجرة ولكن وصلوا متأخرين فلم يدركوهم وعلى كل الأحوال فقد نجا المهاجرون ولم يستطع المشركون ردهم ويقال أنهم أقاموا في الحبشة ثلاثة أشهر حيث كانوا يعبدون الله باطمئنان وأقاموا معالم دينهم دون أن ينالهم أذى أو مكروه ثم أنهم بعد ذلك رجعوا إلى مكة حيث بلغهم أن قريشاً دانوا بالإسلام واتبعوا محمداً، وفعلاً رجعوا، لكن ما كادوا يصلون إلى مشارف مكة وسمع المشركون بوصولهم حتى استقبلوهم شر استقبال ولم يتمكن أي واحد منهم من دخول مكة إلا إذا احتسى بجوار واحد من زعماء قريش. وحينها بدأت قريش تسلط ألوان العذاب على هؤلاء العاندين من الحبشة.

إلى الحبشة.. ثانية:

لما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) ما حل بأصحابه من جهد وبلاء أمر المستضعفين منهم بالهجرة بدينهم إلى الحبشة مرة أخرى وكان اختيار الحبشة داراً لهجرة المسلمين خطوة موفقة من خطوات الرسول. ولم يكن انتداب جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) لهذه المهمة العظيمة أمراً اعتباطياً ولعل ما روي من إسلام النجاشي وغيره من الأحباش على يد جعفر مما يؤكد هذا الأمر. وهذه الهجرة الثانية لم تكن كسابقها حيث ازداد عدد المهاجرين بنسبة ازدياد المسلمين أولاً وشدة إيذاء قريش لهم ثانية حتى بلغ عدد المهاجرين هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانين عشرة امرأة وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكون جعفر بن أبي طالب أميرهم ورئيسهم. ينظم أحوالهم ويشرف على شؤونهم علماً أنه كان أصغر الرجال المهاجرين سناً ولكن الرسول اختاره لأنه كان أرجحهم عقلاً وأوسعهم إحاطة بأحكام الإسلام ومبادئه كما كان أعظمهم شجاعة وكانت معه زوجته أسماء بنت عميس وحين أزمع جعفر على الرحيل مع المهاجرين خرج النبي لتوديعه ودعا له بهذه الكلمات:

(اللهم الطف به في تيسير كل عسير فإن تيسير العسير عليك سهل يسير، أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة)، وعندما رأت قريش أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة قرر زعماءهم أن يبعثوا في طلبهم رجلين قديرين إلى النجاشي لكي يردوا المهاجرين فمارسوا معهم من جديد الفتنة والاضطهاد واتجه الوفدان عمرو بن العاص وعبد

الله بن أبي ربيعة إلى الحبشة وهما يحملان الهدايا للنجاشي ولبطارفته وحين رأى أبو طالب ذلك بعث للنجاشي أبياتا يحضه فيها على حسن جوارهم والدفع عنهم قاتلاً له:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر *** وعمرو وأعداء العدو الأقارب
فهل نالت أفعال النجاشي جعفر *** لأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد *** كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة *** وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة *** ينال الأعداء نفعها والأقارب

وحط عمرو بن العاص وصاحبه رحالهما بالحبشة وقابلا الزعماء من القساوسة والبطارقة ونثرا بين أيديهم الهدايا التي حملها إليهم. ثم أرسلوا للنجاشي هداياه ومضيا يوغران صدور القسس والأساقفة ضد المسلمين المهاجرين ويستجدان بهم لحمل النجاشي على إخراجهم من بلاده وكان عمرو بن العاص قد أقنع البطارقة - وهم قواد الجيش - بأن هذا الدين الجديد سيقضي على نصرانيتهم إذا ما سمحوا له بالانتشار واتفق معهم على أن يقتلوا الملك بتسليم هؤلاء المهاجرين إلى قومهم ولا يكلمهم فإن قومهم أعلم بهم وأعلم بما عابوا عليهم.

وتحدد يوم اللقاء مع النجاشي وفي مجلسه الذي يسوده الهدوء والوقار. جلس النجاشي على كرسیه العالي تحف به الأساقفة ورجال الحاشية وجلس أمامه المسلمون المهاجرون تزدانهم السكينة ويطمئنهم الإيمان بوعدته تعالى. وعندها اتجه عمرو ورفيقه إلى النجاشي وعرضا عليه طلبهما بتسليمهما المهاجرين. وقالت البطارقة من حوله صدقا أيها الملك، قومهم أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما.

غضب النجاشي وقال: لا والله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أوعدهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمهم إليهما، وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهما وأحسننت جوارهم ما جاوروني.

وما لبث النجاشي أن سأل المهاجرين عن طبيعة الدين الذي دفعهم إلى مفارقة قومهم، فتقدم جعفر بن أبي طالب ليؤدي المهمة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اختاره لها وبكل هدوء ورباطة جأش، قال: (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله

إلينا رسولاً منا نعرف نسيه وصدقته وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فدعا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فطلب منه النجاشي أن يقرأ عليه شيئاً مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى، فقال له: (هل معك مما أنزل على رسولكم شيء)، قال جعفر: نعم، قال أي شيء: فقرأه عليّ، انبرى جعفر يتلو عليه آيات من سورة مريم بكل خشوع فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم، ثم أخذ يكفكف دموعه ويقول لمبعوثي قريش: إن هذا والذي جاء به عيسى (عليه السلام) ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكم. لكن عمرو بن العاص لم ييأس وعاد إلى النجاشي ليجرب حظه مرة أخرى، قائلاً له: إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه فاستدعاهم وسألهم، فأجابه جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله) هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشي عوداً، وقال: والله ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود، ثم التفت صوب حاشيته وقال وسبابته تشير إلى مبعوثي قريش: ردوا عليهما هدايها فلا حاجة لنا بها. فغادر عمر ورفيقه أرض الحبشة عاندين إلى مكة.

وخرج المسلمون بزعامة جعفر ليستأنفوا حياتهم الأمانة في الحبشة لاثنتين فيها حتى يأذن الله لهم بالعودة إلى رسولهم وإخوانهم وديارهم.

النجاشي يُسلم..

أثر محاولة قريش الفاشلة لاسترجاع المهاجرين تعززت مكانة المسلمين المهاجرين ولاسيما جعفر (رضي الله عنه) عند النجاشي، حيث تجلت شخصيته الرصينة ومنطقه الفياض وحسن أدبه وأخلاقه، أخذ النجاشي يلتقي جعفرَ بين الحين والآخر فتتجلى له في كل يوم ملكاته وخصائصه العالية أكثر فأكثر، فرأى النجاشي فيه صورة مثلى متجسدة للدين الإسلامي، ولا عجب في هذا فشهادة النبي (صلى الله عليه وآله) صريحة بحقه لما قال له: (يا جعفر أشبهت خُلقي وخُلقي).

استطاع جعفر بما أوتي من منطق رصين ورجاحة عقل أن يجذب النجاشي إلى الإسلام، وما هي إلا فترة سيرة حتى أسلم النجاشي ولكنه كتم إسلامه لنلا يبطش به قومه ويثورون عليه. وممرت سنين على جعفر (رضي الله عنه) وأصحابه في الحبشة وكانت الأخبار تترى عليهم بانتشار الإسلام وتوطيد أركانه بعد أن تجاوز مرحلة الخطر وأصبح له كيان في المدينة وكانوا يتابعون أنباء الانتصارات واحدة تلو الأخرى وقد امتلأت نفس جعفر روعة بما سمع من أبناء إخوانه المؤمنين الذين خاضوا تلك المعارك المظفرة وكان يتلهف شوقاً إلى إخوانه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكان ينتظر الشهادة ليلتحق بذلك الركب المبارك وفعلاً أقبل من الحبشة سنة ٧هـ بالوقت الذي كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يعيش فرحة الانتصارات على أعداء الله بعد أن فتح الله عليه خيبر.

ولما رآه النبي (صلى الله عليه وآله) استبشر بقدمه وضمه إليه وقبل ما بين عينيه، وقال: (ما أدري بأيهما أسر بقدم جعفر أم بفتح خيبر).

الشهادة:

بعد الانتصارات الإسلامية الكبيرة أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) يرسل الدعاة إلى أطراف الجزيرة العربية داعين مبشرين إلى الله، وقد أرسل سنة ٨هـ الحارث بن عمير الأزدي إلى بلاد الشام فقتله شرحبيل بن عمر الغساني الذي كان عاملاً للروم في بلاد الشام، وما أن وصل الخبر إلى مسامع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أعد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ووجهه إلى البلقاء في بلاد الشام واستعمل عليهم جعفرَ (رضي الله عنه) مع زيد بن حارثة (رضي الله عنه) وعبد الله بن رواحة (رضي الله عنه). فمضى الناس معهم حتى كانوا بنحو البلقاء فلقبتهم

جموع هرقل من الروم والعرب فانهز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها واقتتلوا قتالاً شديداً وكان اللواء يومئذ مع زيد بن حارثة فقاتل حتى استشهد فأخذه جعفر فقاتل قتالاً شديداً ثم اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرسه في الإسلام وأثناء ذلك أصيب جعفر بإصابات عديدة من رماح وسهام الروم فكان ينتزع السهم تلو السهم من جسده غير مكترث بآلام الجراح ولا مبالٍ بدمائه الزكية التي تسيل من جراحاته، وكان يتطلع في تلك الساعة إلى لقاء الله والفوز بنعيمه فكان يرتجز ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابه *** طيبةً وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابه *** كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

يقول المؤرخون: أن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

وفي طبقات ابن سعد عن ابن عمر أنه قال: وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح.

نبذة من فضائله:

لما التقى الناس بمؤتة جلس النبي (صلى الله عليه وآله) على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم وأخذ يحدث المسلمين إلى أن قال: ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثم مضى حتى استشهد فصلى عليه ودعا له ثم قال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة.

وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لقد رأيت في الجنة - يعني جعفر - له جناحان مضرجان بالدماء مصبوغ القوادم، وفي حديث آخر: إن لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة.

وروي أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وآله) نعى جعفر وزيداً قبل أن يجيء إليه خبرهما، نعاهما وعيناه تدرفان. وقال (صلى الله عليه وآله): اللهم اخلف جعفرَ في أهله كما خلفت عبداً من عبادك الصالحين.

ولما أتى النبي (صلى الله عليه وآله) نعي جعفر (رضي الله عنه) أتى إلى امرأته أسماء بنت عميس فعزّأها في زوجها جعفر (رضي الله عنه) ودخلت فاطمة (عليها السلام) وهي تبكي وتقول: واعماه، فقال (صلى الله عليه وآله): (على مثل جعفر فلتبك البواكي).

وفي الاستيعاب (ج ١، ص ٥٤٨): أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نعي جعفر وزيد بن حارثة، فبكى وقال: أخوأي ومؤنساي ومحدثاي.

وفي الإصابة (ج ١، ص ٢٣٨): كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه، يحدثهم ويحدثونه فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكنيه (أبا المساكين)، وفي مقاتل الطالبين عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

خير الناس حمزة وجعفر وعلي.

وينقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ٣، ص ٤٠٦): عن عبد الله بن جعفر حيث يقول: أنا أحفظ حين دخل النبي على أمي فنعى إليها أبي فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان بالدمع حتى قطرت لحيته ثم قال: اللهم أن جعفر قدم إلى أحسن الثواب فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته.

ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي وأمي، قال: فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: بأبي وأمي فأعلم الناس بذلك. فقام وأخذ بيدي يمسح بيده على رأسي حتى رقى على المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى وإن الحزن ليعرف عليه فتكلم فقال: (إن المرء كثير بأخيه وابن عمه ألا إن جعفر قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة).

ثم نزل فدخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع لنا وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداءً طيباً عمدت سلمى خادمته إلى شعير تطحنه ثم نسفته ثم أنضجته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً فتغديت أنا وأخي معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه في بيوت نسانه ثم أرجعنا إلى بيتنا

وأُتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك وأنا أساوم في شاة، فقال: (اللهم بارك له في صفقته)، فو الله ما بعث شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه.

وفي الحديث عن العباس بن موسى بن جعفر (عليه السلام)، قال: سألت أبي عن الماتم، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما انتهى إليه قتل جعفر (رضي الله عنه)، دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بني فدعت بهم وهم ثلاثة عبد الله وعون ومحمد فمسح رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رؤوسهم فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام فتعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عقلها، فقال: يا أسماء ألم تعلمي أن جعفر (رضي الله عنه) استشهد. فبكت فقال (صلى الله عليه وآله): لا تبكي فإن جبرائيل (عليه السلام)، أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر، فقالت: يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله، فعجب رسول الله من عقلها ثم قال (صلى الله عليه وآله): (ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً).

هكذا انطوت صفحة مشرقة من صفحات تاريخنا الإسلامي متمثلة في سير الشهيد جعفر الطيار (رضي الله عنه)، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

معركة مؤتة:

والمتحدث عن الكرك لا بد له أن يتحدث عن أهم أفضيتها وهو قضاء (مؤتة) الواقع على بعد عشرة كيلو مترات إلى الجنوب من الكرك.

يتحدث ياقوت الحموي في [معجم البلدان] تحت مفردة (مؤتة) فيقول: (مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل مؤتة من مشارف الشام وبها كانت تُطبع السيوف وإليها تُنسب المشرفية من السيوف).

وينقل ياقوت في (ج ٥، ص ٢٥٤) من [معجمه] كلاماً عن مؤتة، فيقول: (مآب وأذرع مدينتنا الشراة، على اثني عشر ميلاً من أذرع ضيعة تُعرف بمؤتة بها قبر جعفر بن أبي طالب. بعث النبي (صلى الله عليه وآله) إليها جيشاً في سنة ثمان للهجرة (٦٣٠م) فساروا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء - عند أم الرصاص إلى الجنوب الشرقي من مادبا - لقيتهم جموع هرقل من الروم

والعرب بقرية من قرى البلقاء يُقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم).

ومؤتة تقع إلى جنوبي مدينة الكرك على مسافة عن مركز المحافظة تقدّر بنحو (٧٦ كم٢). ويتداخل اسم المدينة وتاريخها مع تلك المعركة الشهيرة التي وقعت بين المسلمين والمشركين في العام (٥٨هـ - ٦٣٠م)، حيث قاد جيوش المسلمين جعفر بن أبي طالب (عليه السلام). وعن سبب معركة مؤتة يذكر محمد بن عمر الواقدي (المتوفى سنة: ٢٠٧هـ) في (ج ٢ ص ٧٥٥) من كتابه [المغازي] فيقول: (بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحارث بن عمير الأزدي ثم أحد بني لهب إلى ملك بخصري وهي قطبة من أعمال الشام بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شُرْحَيْبِل بن عمرو الغساني وهو من كبار بلاط قيصر، فقال: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رُسُل محمد؟ قال: نعم، أنا رسول الله. فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً. فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخبر فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم الحارث ومن قتله، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف).

ويضيف الواقدي في (ج ٢ ص ٧٥٨) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (خرج مشيئاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال: اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع (جمع صومعة وهي بيت عبادة النصارى) معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان، في رؤوسهم مفاخر فاقلعوها بالسيوف ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ولا مرضعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تغرقن نخلاً ولا تقطعن شجراً ولا تهدموا بيتاً).

نختصر هنا ما كتبه أبو الفداء ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م) وهو يتحدث عن غزوة مؤتة فيقول ما مضمونه: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة فتجهّز الناس وخرج القوم وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشيئهم، ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام. فبلغ الناس أن هرقل (ت: ٦٤١م) قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لحم وجدام وبلقين. أو كما يعبر مؤرخ: إن هرقل إنما نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله نخبه بعدد

عدونا فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، قال فشجَّع الناس أحدهم وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. فانطلقوا فإتّما هي إحدى الحُسينين، إما ظهور عليهم فذلك ما وَعَدنا الله ووعدنا نبينا وليس لوعده خُلْفٌ وإما شهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان.

وهكذا مضى جيش المسلمين حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها (مؤتة) فالتقى الناس عندها فتعباً لهم المسلمون. فقاتل جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) القوم حتى قُتل، وتسلم قيادة الجيش من بعده زيد بن حارثة ثم عبد الله بن رواحة.

شهداء مؤتة:

لقد استشهد في معركة مؤتة كلٌّ من:

١- جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

٢- زيد بن حارثة.

٣- عبد الله بن رواحة.

٤- مسعود بن الأسود بن حارثة.

٥- عامر بن لؤي.

٦- مالك بن حُسيل.

٧- وهب بن سعد بن أبي سرح.

٨- سراقَة بن عمرو بن عطية.

٩- الحارث بن النعمان بن يساف.

١٠ - عُبادَة بن قيس.

ولقد أدرجت أسماء هؤلاء الشهداء في نصب جميل أقيم عند مدخل مؤتة.

زيد بن حارثة:

وفي مدينة المزار بمحافظة الكرك بالأردن إلى الغرب من مرقد جعفر الطيار بحوالي (١٥٠ متر) يقع مرقد الشهيد زيد بن حارثة بن سراحيل بن كعب بن عبد العزي بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، وينتهي نسبه إلى (القضاعي) يذكر ابن كثير في [البداية والنهاية: ج ٤ ص ٢٠٤] وهو يتحدث عن فضل شهداء مؤتة: (إن أم زيد بن حارثة ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها فوهبته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل النبوة فوجده أبوه فاختر المقام عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعتقه وزوجه مولاته أم أيمن، واسمها بركة، فولدت له أسامة بن زيد).

استشهد زيد بن حارثة في مؤتة عام (٥٨ هـ - ٦٣٠ م) ودُفن في ذات البقعة التي دُفن فيها جعفر الطيار على مسافة (١٥٠ متراً) حيث يقع قبر ابن حارثة في ضريح صغير لا تزيد مساحته عن (١٢ متراً مربعاً - ٤×٣) تحيط بغرفة القبر حديقة متواضعة، ولا يُفتح المرقد أمام الزائرين إلا نهار الجمعة من كل أسبوع.

عبد الله بن رواحة:

الشهيد عبد الله بن رواحة واحد من شهداء معركة مؤتة، وفي نسبه يقول المؤرخون: إنه عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر الأنصاري الخزرجي. ويقال في إسلامه: (إنه أسلم قديماً وشهد العقبة، وكان أحد النقباء - ليلتها - لبني الحارث بن الخزرج، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر).
وعبد الله بن رواحة من شعراء صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المشهورين، ومما نُقل من شعره في رسول الله (صلى الله عليه وآله):

وفينا رسول الله نتلو كتابه *** إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعٌ
يبيت يجافي جنبه عن فراشه *** إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبن *** به مواقف أن ما قال واقِع

قضى عبد الله بن رواحة شهيداً في مؤتة، ودفن في المزار على مسافة لا تبعد عن (١٠٠ متر) عن قبر زيد بن الحارثة، وعلى بعد حوالي (٢٥٠ متراً) عن جعفر بن أبي طالب. يقع ضريح ابن رواحة وسط منتزه كبير، فيما لم يقم بنيان على قبره على الرغم من المساحة الكبيرة هناك، اللهم إلا تلك الغرفة الصغيرة (٢م ٣x٢) التي يتوسطها القبر، ويقوم على رعاية القبر شيخ مسن لا يفتح غرفة الضريح إلا نهار الجمعة أمام الزائرين. يلفت نظرك كثرة وجود الأطفال قريباً من مرقد ابن رواحة، تطلب من ذلك الشيخ المسن حارس القبر تفسيراً لذلك حيث لم نلمح ظاهرة وجود مجموعات من الأطفال قرب مرقد جعفر وزيد فيجيب: (إنّ الأطفال يقصدون المنتزه المحيط بضريح ابن رواحة للعب كرة القدم)، ويضيف: وكأنه يجب عن استغرابنا لاقتصار فتح المقام على نهار الجمعة - يوم العطلة الرسمية الأسبوعية في الأردن - : (إنّ عدد الزوار قليل لانعدام الخدمات في المرقد وما حوله، ولضيق المكان حيث لا يتسع لأكثر من ثلاثة أشخاص ولا توجد قريباً منه مرافق صحية وأماكن للوضوء).

محافظة الكرك - في الأردن - في حديث المؤرخين:

لقد ذكر المؤرخون والرحالة مدينة الكرك في ما كتبوا من مؤلفات فهذا الرحالة الأندلسي حمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ - ١٢١٧م) يذكر أنه سمع في رحلته أن أربعمان قرية كانت تتبع الكرك، وفي ذلك يقول بالنص: (بين الكرك وبين القدس مسيرة يوم أو أشف - أكثر - قليلاً وهو سراة أرض فلسطين عظيم الاتساع، متصل العمارة، يذكر أنه ينتهي إلى أربعمان قرية). أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) فذكر الكرك في (المجلد: ٤ ص ٥١٤) من مؤلفه الشهير [معجم البلدان] فقال: (قلعة حصينة جداً في طرق الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة (العقبة) وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس، وهي على سنّ جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. ووصف الكرك إسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ - ١٣٣١م) في كتابه [تقويم البلدان] قائلًا: (.. وهي بلد مشهور له حصن عالي المكان، وهو أحد المعاقل التي لا ترام، وتحت الكرك وإد فيه بساتين كثيرة وفواكهها مفضّلة من المشمش والرمان والكمثري وغير ذلك).

ونقرأ فيما كتبه زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م) في كتابه [آثار البلاد وأخبار العباد] نقلاً عن الجيهاني قوله: (موتة من أعمال البلقاء من حدود الشام، أرضها لا تقبل اليهود ولا يتهياً أن يدفنوا بها). ومن عجائبها أن لا تلد بها عذراء، فإذا قربت المرأة ولادتها خرجت منها، فإذا وضعت عادت إليها. والسيوف المشرفية منسوبة إليها لأنها من مشارف الشام. قال الشاعر:

أبي الله وللشمّ الأتوف كأنهم *** صوارم يجلوها بموتة صيقل

المزار (المدينة والأضرحة):

تضم مدينة الكرك العديد من الأماكن الدينية، ولقد قامت على بعض تلك الأماكن أضرحة شهداء معركة موتة التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة، ولعل أبرز تلك الأضرحة وأهمها هي أضرحة: الشهيد جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، والحارث بن النعمان، وعبد الله بن سهل، وسعد بن عامر بن النعمان القيسي وغيرهم. ولقد سُميت المنطقة التي دفن بها أولئك الشهداء بمدينة المزار نسبةً إلى تلك المزارات. والمدينة تبعد عن مركز المحافظة حوالي (٧٥ كم).

عندما تدخل مدينة (المزار) تستشعر وكأن ترابها يعبق بدماء شهداء معركة موتة، على الرغم من مضي ما لا يقل عن أربعة عشر قرناً من الزمان! تستقبلك ساحة صغيرة فيها بعض الشتول الصغيرة لأشجار الصفصاف، يتوسطها نصب مكعب الشكل كتبت عليه أسماء الجلالة بالخط العربي الكوفي، وعلى شمال هذه الساحة ثمة نصب كبير على شكل كتاب مفتوح كتبت عليه أسماء شهداء موقعة موتة بالخط الكوفي أيضاً. وقد أحاطت بالنصب أشجار الصفصاف بأغصانها الفارعة وبأوراقها الفضية الجميلة التي تتمايل وتهتز مع هواء المدينة العليل. ويحيط بنصب الشهداء سياج حديدي مطلي باللون الأسود.

تستغرب الهدوء السائد في منطقة المزارات وما حولها حيث تتخيل نفسك وكأنك في مدينة خارج الزمن أو خارج الكون كله لشدة الهدوء. على يمين الساحة يقع مرقد جعفر الطيار بن أبي طالب، أما على الشمال من البوابة الكبيرة لمرقد الطيار فيستقبلك متحف وقعة موتة الذي يفتح عادةً نهار يوم الجمعة من كل أسبوع. تقف قبالة البوابة الكبيرة يمتد أمامك رواق طويل

تحيط به أشجار باسقة من الجانبين، يمتد هذا الرواق حتى يصل إلى باحة واسعة خُصّصت لإقامة صلاة يوم الجمعة، وذلك في حال عدم اتساع المكان للمصلّين في مرقد جعفر الطيار لأداء هذه الفريضة. أما على جانبي الرواق الطويل فالجانب الأيمن لدى دخولك للمرقد قد يتكوّن من باحة كبيرة تنتهي بمرافق صحية قسم منها للنساء وآخر للرجال، وفي الجانب الشمالي من الرواق أنشئت مقاعد من الإسمنت لراحة واستراحة الزائرين مظلة بسقف واسع يحجب عن الزائرين شمس الصيف الحارقة في تلك البلدة، وأمطار الشتاء قليلة الهطول هناك.

ومما يثير العجب أنّ كلّ الهدوء المحيط بالمرقد يتحول عند مواعيد الصلاة إلى حضور متواصل من المصلين القادمين من المدينة حيث تغلق كل المحلات أبوابها لأداء فريضة الصلاة حيث لا يتأخر عنها أي كان إلا لعذر يمنعه من السير على قدميه وليس هناك أجمل من منظر المصلين وهم قادمون واحداً بعد الآخر بثيابهم البيضاء وأغطية رؤوسهم البيضاء أيضاً، ويقفون صفّاً منتظماً للوضوء ثم يدخلون المرقد لأداء الصلاة وبعد الانتهاء يعود المزار إلى وحدته وخلوته إلا من بعض الطلاب الأجانب الذين يجلسون بكل هدوء لقراءة بعض آيات القرآن الكريم.

مرقد جعفر الطيار:

يقع مرقد الشهيد جعفر الطيار في بقعة تبعد عن موقع معركة مؤتة حوالي (٧٥ كم) ولقد عُرفت المنطقة التي تضم رفات شهداء (مؤتة) بـ(المزار) نظراً لوجود مراقد ومزارات أولئك الشهداء، ولعلّ أبرز تلك المراقد هو مرقد جعفر الطيار.

وليس هناك من بين المصادر التاريخية - التي بين يدينا - ما يوضح التاريخ الأول لإقامة العمارة على مثنوى جعفر الطيار، بيد أن الدكتور محمد عدنان البخيت يذكر في كتابه [مملكة الكرك في العهد المملوكي]: (إن الظاهر بيبرس رابع سلاطين المماليك (ت ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م) جدّد قبر جعفر بن أبي طالب ووقف على الزائرين له شيئاً كثيراً.

ويذكر أيضاً: (إن مقام جعفر هذا قد تحوّل إلى مركز ديني تعليمي وإلى مركز مجاورة. فهذا الشيخ يوسف بن خليل يقيم به مدة عشرين سنة، ويأخذ عنه العلم محمد بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري).

ومتابعة موضوع عمارة قبر جعفر الطيار، وتجديد عمارته وتطورها تحتاج إلى بحث مستقل لاشك وأنه سيسد نقصاً واضحاً ومكاناً شاغراً في رفاف المكتبة الإسلامية والعربية.

وقبل أن تدخل غرفة الضريح يقع نظرك على لوحة من الرخام وضعت على الحائط قرب الباب بقياس (١٠٠ سم عرضاً) و(٨٠ سم طولاً) حُفرت وكتب عليها بخط أسود في ستة سطور: (هذا مقام الصحابي الجليل الشهيد سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هاجر الهجرتين وكان القائد في معركة مؤتة وفيها فقد ذراعيه ثم استشهد فأخبر الرسول أن الله قد أبدله بدلاً منها بجناحين يطير بهما في الجنة فسمي (رضي الله عنه) بجعفر الطيار).

يرتفع عن الأرض حوالي متر واحد ونصف المتر تقريباً، فيما أحاط بالضريح سياج حديدي طلي باللون الأخضر أيضاً يمكن تقديره من حيث الحجم ب(٣ أمتار طولاً و٢ عرضاً). بينما فرشت الأرض المحيطة بالضريح بسجاد أحمر اللون لجلوس الزائرين وأدائهم الصلاة اليومية وصلاة يوم الجمعة، أما جدران المقام فقد غلقت فيها سيرة الطيار على شكل لوحة جميلة في ثلاثة عشرة فقرة تتحدث عن نسبه، وصلاته مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وزواجه من أسماء بنت عميس وهجرته إلى الحبشة والمدينة وتسميته من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي المساكين واستشهاده.

وقد ذيلت اللوحة باسم مهديها لمرقد جعفر الطيار المحامي الحاج أمير كاظم الصالحي (بغداد) وبتاريخ الإهداء (٧ / ٤ / ١٩٩٥)، وعلى بعض جدران الضريح الأخرى لوحة كتبت عليها أحد عشر بيتاً من القصيدة المشهورة التي يقول الشاعر في مطلعها:

دع الأيام تفعل ما تشاء *** وطب نفساً إذا حكم القضاء

في الجهة الشمالية من مرقد جعفر الطيار ثمة سلم صغير يؤدي إلى منصة حيث مكان الخطيب في هذا الضريح ولقد كسي السلم بالسجاد الأخضر، فيما وضعت مكتبتان خشبيتان صغيرتان إلى شمال السلم احتوت إحداهما على نسخ من القرآن الكريم بطبعات مختلفة، وأحجام متنوعة، إذ توجد هناك المصاحف الكبيرة كما تتوافر المصاحف صغيرة الحجم. أما الخزانة الخشبية الثانية الصغيرة ذات الأرفق الأربعة فتحتوي على مجموعة متواضعة من الكتب الإسلامية، بعضها يتحدث عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وسيرة أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام).

تزيّن وسط سقف الضريح (ثريا) مصنوعة من الزجاج الأبيض، وقد أضيئت وتلألأ شعاعها وضياؤها، فأضفت على هيبة الضريح ونوره نوراً وبهاءً وجمالاً، فيما تتوزّع المصابيح البيضاء على الجوانب من سقف الضريح.

يزور هذا المرقد عدد غير قليل من الناس، لاسيما في أوقات الصلاة اليومية، يكوّن سكان مدينة المزار العدد الأكبر منهم، إذ يفضلون الصلاة في هذا المكان يعبدون الله قرب وليّ من أوليائه.

ومن الظاهر الإسلامية الجميلة التي تستحق الثناء والتقدير في بلدة المزار: أن أهالي المدينة لا يتخلفون عن صلاة الجماعة إلا في حالات المرض الشديد أو السفر، والسفر حالة نادرة جداً لأهالي المزار، باستثناء قلة قليلة من الجيل الجديد من شباب الكرك الذين غادروها والتحقوا ببعض الجامعات الأردنية في عمّان وإربد، وتشكل نسبة هؤلاء بالنسبة لإجمالي عدد طلاب الجامعات هناك أقل من (١%)!

ثمة ظاهرة تلفت نظرك وأنت قريب من مرقد جعفر الطيار هي وجود مجموعات من المصلين من غير العرب، تقترب منهم تحدثهم بلهجتك العربية الدارجة التي تعودت عليها، يجيبوك متحدثين بلسان عربي مبين، إنهم من المسلمين الماليزيين الذين يدرسون الفقه الإسلامي، وعلوم الشريعة الإسلامية في (جامعة مؤتة) أنشئت عام (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ويواظبون على أداء صلاة الجماعة وصلاة الجمعة قريباً من مقام الشهيد جعفر الطيار، تعرفهم مما يرتدون من ملابس تميزهم عن أبناء البلد، فالقميص أبيض فضفاض، وتحتة بنطال واسع من غطاء أبيض على الرأس.

مشروع تطوير المقامات:

وسط هذا النقص في الخدمات في مدينة المزار يقوم منذ عام (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) مشروع إعمار وتطوير مقامات شهداء مؤتة، وقد بدأ العمل - أول ما بدء - بالمزار الجنوبي. ويتكون المشروع من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بناء مسجد الشهيد جعفر بن أبي طالب، وتوسيع المرقد، وتطويره، حيث يقام مسجد واسع يتكوّن من صحن واسع له ثلاثة أروقة، وتطوير مقام زيد بن حارثة، حيث سيبنى مصلى، وصحن واسع على نظام تطوير مسجد جعفر الطيار، ولكن بشكل أصغر وتحديداً ثلث

مساحة مرقد جعفر الطيار، ويتبعه مبنى لإقامة الزائرين وحدّد مكانه في الخلف من مرقد زيد بن حارثة من الناحية الجنوبية شرق ضريح الطيار، كما سيقام ضمن خط مرحلة العمل الأولى - سوق تجاري قريب من ضريح جعفر الطيار، وسيُقام ضمن السوق برج الساعة، إذ توضع في أعلاه ساعة كبيرة وجميلة الشكل من جوانب البرج الأربعة.

المرحلة الثانية: تتكوّن من مشروع تطوير مقامات شهداء مؤتة من إنشاء قاعة ملكية تمتد على مساحة واسعة من الأرض في مدينة المزار، وتقام بموازاتها جامعة العلوم الإسلامية شرقاً، وعلى الخط نفسه سيُقام منتزه يكون ملاصقاً للمساحة الخارجية لمرقد الشهيد جعفر الطيار، كما وستقام دار لتعليم القرآن الكريم وتلاوته وتجويده.

المرحلة الثالثة: تطوير مقام الشهيد عبد الله بن رواحة، فعلى النسق نفسه الذي سيقام لمقامي جعفر وزيد سيقام مقام لابن رواحة ولكن على شكل مصغّر بعض الشيء، ويلحق به منتزهين الأول إلى جنوبيه والثاني إلى غربه.

أما المدّة الزمنية المقررة لإنجاز هذا المشروع فهو من سنتين إلى ثلاث سنوات لكل مرحلة من مراحله الثلاث، والمعدّل الزمني مع التمديد هو حوالي عشر سنوات. وتشرف على إنجاز هذا العمل اللجنة الملكية لإعمار المساجد ومقامات الصحابة في الأردن. وهي ذات اللجنة التي أشرفت على إعادة ترميم قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى.

زيارة الشهيد جعفر الطيار:

قريباً من مدخل غرفة الضريح عُلقَت لوحة يمكن تقدير طولها بـ ٦٠ سم) وقد كتب عليها بخط جميل نصّ زيارة الشهيد جعفر الطيار، وكما يلي:

زيارة جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله) قتل شهيداً في أرض الشام بـ (مؤتة) سنة ثمان للهجرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(السلام عليك يا بن عم النبي (صلى الله عليه وآله) السلام عليك يا قائد المسلمين إذ قال فيك رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أشبهت يا جعفر خُلقي وخُلقي) وكُنَّاك أبا المساكين، وقد أدّيت الأمانة واجتنبت الخيانة من جهادك الروم حتى قتلت شهيداً صابراً بعدما قطعت يدك

فَعَوِّضْكَ اللهُ بِهُمَا جَنَاحَيْنِ تَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْكَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ وَكَنْزَهَا وَمَحْيَى الرَّسُومِ وَمَرْوَجَهَا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَافِظَ الدِّينِ
وَعَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَرْوَجَ شَرِيعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عِضْدَ الْإِسْلَامِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
أَيُّهَا الزَّاهِدُ الْكَامِلُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصَّالِحُ التَّقِيُّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَارِفُ الْمُؤَيَّدُ وَالْعَابِدُ
الْمُسَدَّدُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْأَمِينُ عَلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرِينَ وَأَنَّكَ بَالِغٌ فِي إِحْيَاءِ الدِّينِ وَاجْتِهَادٌ فِي حِفْظِ
شَرِيعَةِ أَشْرَفِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَوَاتِ الْمَصْلُوحِينَ وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ الْأَبْرَارِ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ
أَظْهَرْتَ الْحَقَّ وَأَبْطَلْتَ الْبَاطِلَ وَسَهَّلْتَ السَّبِيلَ وَأَوْضَحْتَ الطَّرِيقَ وَنَصَرْتَ الْمُؤْمِنِينَ وَالشَّهَدَاءَ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسَّنَ أَوْلَادَكَ رَفِيقًا. اللَّهُمَّ املأ قبره نوراً ورَوْحاً وريحاناً، وأسكنه في بحبوحة من
جنان النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين).

بعض ما قيل عن مؤتة شعراً:

يقول الشاعر حسان بن ثابت وهو يبكي شهداء مؤتة:

تَأْوِينِي لَيْلٍ بِيَثْرَبٍ أَعْسُرُ *** وَهَمٌّ إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ مَسْهَرُ
لَذَكْرَى حَبِيبٍ هِيَجَّتْ لِي عَيْرِهِ *** سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبِكَاةِ التَّنْكَرُ
بَلَى إِنَّ فِقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ *** وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَبْتَلِي ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ تَوَارِدُو *** شُعُوباً وَخُلُفَاءَ بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يَبْعَدُنَ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُو *** بِمَوْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَبَايَعُو *** جَمِيعاً وَأَسْبَابَ الْمَنِيَةِ تَخْطُرُ
غَدَاةً مَضُوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ *** إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ

وبعد هذه الزيارة وبينما كانت الشمس تودع مدينة الكرك الهادئة الوادعة وتودع أضرحة
الشهداء فيها من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كانت السيارة تعود بنا إلى عمان
حيث ضجيج العاصمة ازدحامها. ومع أن المسافة ما بين الكرك وعمان ليست بالبعيدة إلا أننا
استشعرنا وكأننا انتقلنا من عالم إلى عالم آخر.. فيما بقيت أرواح شهداء مؤتة ترافقتنا ويظللنا
جعفر الطيار بجناحين من نور...
